

مقالات رأي

وجه الحقيقة | ابراهيم شقلاوي يكتب: المكتبة الوطنية: جدلية الحرب والوعي

أضواء البيان • 17-11-2025 • 5 دقائق قراءة



تقف المكتبة الوطنية السودانية، رمزا للذاكرة الجمعية وإحدى أهم أدوات إستعادة الوعي الوطني بما تمثله من فضاء معرفي. تتجسد فيه هوية الأمة وتاريخها وثقافتها القومية، المكتبة التي تمت استعادها بعد أزمات

متلاحقة سبقت اندلاع الحرب. تؤكد اليوم أن الثقافة قادرة على الصمود في وجه التحديات حين تتوفر الإرادة السياسية.

إن الحرب المخزية التي اندلعت في 15 أبريل 2023 عقب الانقلاب الفاشل لمليشيا الدعم السريع وداعميها المحليين والإقليميين، لم تقتصر على تهديد البنية المادية للمكتبة، بل شكلت اختباراً حقيقياً لقدرة الدولة والمجتمع المدني على النهوض و حماية إرث المعرفة، وإعادة إنتاج الذاكرة الوطنية، واستنهاض روح البحث العلمي والفكر المستنير.

زيارة والي الخرطوم الأستاذ أحمد عثمان حمزة بالأمس إلى المكتبة الوطنية تأتي في هذا الإطار، كإعلان ضمني عن إرادة سياسية لإعادة بناء مؤسسات الدولة الثقافية. فقد أكد الوالي على ضرورة تأهيل المكتبة بالتنسيق بين وزارة الثقافة والإعلام على المستويين الولائي والاتحادي، وإشراك خبراء متخصصين لضمان حماية الكتب والمراجع وفق معايير علمية دقيقة، بما يتيح للطلاب والباحثين استعادة مساحة حيوية للبحث المعرفي. هذه الخطوة تعبر عن فهما متقدما لدور الثقافة في الحفاظ على الهوية الوطنية وتعزيز صمود المجتمع.

المكتبة الوطنية اليوم، بعد أن تبين سلامة محتوياتها رغم الأضرار المادية التي لحقت بالمبنى والمعدات، تمثل منصة مركزية لتوحيد الجهود الفكرية والثقافية. لذلك لا بد من أن يكون إعادة تفعيل خدمة منح الرقم الدولي المعياري للكتب (ISBN) على رأس الأولويات لأن ذلك يشير إلى استعادة السودان لمكانه في منظومة النشر العالمية، ويعكس إدراكاً حقيقياً بأن حماية الملكية الفكرية وتعزيز البحث العلمي هما مفتاحان لإحياء الحياة الثقافية والنهوض المعرفي.

إن هذا التوجه يعزز من قيمة المكتبة كمرجع وطني موثوق للباحثين وأصحاب الدراسات العليا، ويؤكد موقعها الاستراتيجي كملتقى للفكر والإبداع وحاضن للهوية السودانية الجمعية.

تتجلى جدلية الحرب والوعي هنا بوضوح، فبينما حاولت الحرب طمس الإرث الثقافي، أثبتت المكتبة الوطنية أنها صمام أمان يحفظ تاريخ الأمة ويمكنها من مواجهة الحاضر واستشراف المستقبل. فالأدوات الفكرية التي تضمها، من كتب تاريخية ومراجع نادرة وأبحاث علمية، تشكل وصلاً يربط الماضي بالحاضر ويؤسس لبنية معرفية قوية، قادرة على صون إرث السودان التاريخي والثقافي من الطمس والضياع.

كما أن المكتبة بوصفها مؤسسة معلوماتية رسمية وشعبية، تؤدي وظائف قومية عدة، بدءاً من جمع وحفظ الإنتاج الفكري، مروراً بالإيداع القانوني، وإصدار الببليوجرافيا الوطنية، وصولاً إلى تنسيق الشبكات المكتبية على المستويين القومي والمحلي، فهي رمز لإرادة الدولة في الحفاظ على سيادة المعرفة كجزء لا يتجزأ من السيادة الوطنية.

في هذا الإطار يصبح دور المثقفين والباحثين جوهرياً، إذ يطلب منهم المشاركة الفاعلة في إعادة بناء الذاكرة الجمعية، من خلال إيداع المخطوطات والكتب العلمية النادرة التي تحويها مكتباتهم المنزلية، لتشكيل قاعدة معرفية واسعة تدعم الهوية الوطنية وتعزز الحوار الثقافي مع العالم.

هنا يكتسب حديث للفيلسوف جان جاك روسو أبعاداً عملية ووجودية: حيث قال في كتاب العقد الاجتماعي : "ما يجعل الإنسان إنساناً هو قدرته على التفكير، لا على الطاعة، فالثقافة ليست ترفاً، بل هي روح الشعوب وسلاحها في وجه الفناء."

إن المكتبة الوطنية، بهذا المعنى، ليست مجرد دار وثائق، بل رمز لإرادة ثقافية وسياسية واجتماعية تصون الأمة من الانقسام، وتعيد صياغة القوة الوطنية عبر المعرفة والوعي. فهي فضاء مؤسسي للمقاومة الفكرية في مواجهة الهدم، ومنصة لإطلاق مبادرات البحث والتعليم والتميز، ومرجع أساسي لكل من يسعى لفهم حاضر السودان و مستقبله.

ولهذا فإن إعادة تعافي المكتبة تشير إلى بداية استعادة الدولة لقدرتها على إدارة الثقافة والمعرفة، وهو عامل مهم في فترات إعادة البناء. إن تحويل هذا الجهد إلى حركة نهضوية شاملة يمكن أن يخلق تحولاً نوعياً في العلاقة بين المجتمع ومؤسساته، ويعيد ترسيخ مفهوم الدولة كحاضنة للمعرفة وليست رقيب عليها. فإحياء المكتبة الوطنية هو إحياء للذات السودانية، واستعادة لرأس المال البشري الذي تحتاجه البلاد للسير نحو مستقبل يتأسس على المعرفة لا على صراعات النخب و الذاكرة.

بحسب #وجه_الحقيقة، فإن استعادة المكتبة الوطنية وتفعيل خدماتها يمثلان خطوة استراتيجية لإعادة بناء الدولة من جذورها الثقافية والفكرية. فبين الحرب والوعي، تتشكل جدلية السودان المعاصر، حيث تصبح المعرفة أداة للحفاظ على الهوية وصياغة المستقبل المستنير، والمكتبة الوطنية قلب هذا المشروع، تجسد الإرادة الجمعية للأمة في مواجهة العدم، وتثبت أن الثقافة ليست مجرد رفوف من الكتب، بل حياة الأمة ووعيها وذاكرتها المستمرة النابضة بالحياة.

دتمم بخير وعافية.

الاثنين 17 نوفمبر 2025م Shglawi55@gmail.com

<https://www.almuhit-adn-news.com/news/2829> وجه-الحقيقية-ابراهيم-شقلوي-يكتب-المكتبة-الوطنية-جدلية-الحرب-والوعي

© 2026 شبكة المحيط الإعلامية — جميع الحقوق محفوظة